تصوُّر المفكِّر الإندونيسي محمد ناصر للتربية الإسلامية

سوهيرين محمد صالحين
ناصر يوسف
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
زاليكا آدم
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ملخص:

يستعرض هذا البحث آراء المفكِّر الإندونيسي محمد ناصر حول التربية الإسلامية ، لا سيما في المجتمع الإندونيسي المسلم الذي تأثر شطره النخبوي بالثقافات المعاصرة التي تقودها العلمانية والليبرالية؛ فكادت الصراعات الفكرية والإيديولوجية أن تنسف سبل الاستفادة من الثقافتين الإسلامية والغربية ، فلا تؤتي أكلهما لدى الأجيال المتعلِّمة التي باتت تتوجَّه إلى الانشغال بهذه الصراعات العميقة بدلاً من التركير على قطف الثمار الناضجة. ينطلق محمد ناصر من واقع أنّ التربية الإسلامية تستمد أهدافها السامية من العقيدة الإسلامية التي لا ترفض الثقافات والأفكار إذا كانت تصبّ في نهر الحقّ والخير ؛ ما يجعل التربية الإسلامية تربية شمولية إصلاحية تجمع بين الدنيوي والديني، بين الخير والحق؛ بحيث تستفيد من الحضارات الأخرى، وتعمل في الوقت نفسه على إزالة شوائب الشر والباطل من طريق الأجيال المتعلِّمة؛ بحيث لا تكون عائقًا أمام تقدمها العلمي ونقائها التربوي.

الكلمات المفتاحية **:** محمد ناصر، التربية الاسلامية ،إندونيسيا.

Abstract:

The paper attempts to expose the view of Mohammad Natsir on Islamic education in response toward the impact and emergence of contemporary thought from liberal and secular mainstream. These controversial ideas and ideological battle gives influence and even create some confusion toward Indonesian Muslim society. Those who have not have reached into maturity of Islamic thinking will not be in position to grasp the sound concept of education. Having looked on such phenomena, Mohammad Natsir came out with his original thought that Islamic education should derive from *tawhidic* worldview that never negates other cultural influence and thought as long as it complies with general principles of truth and virtues deeds. According to him, Islamic education bears character of comprehensiveness and reformatory orientation that could integrate all elements between worldly matters, spirituality, virtues and truthfulness which might come from other people's civilization. At the same time, it is very concerned with future generation on significance of eradicating negative influences for the sake of maintaining the originality and educational scientific progress.

Key -Words: Mohammad Natsir ,Islamic Education ,Indonesia.

- مقدمة :

ولد المفكِّر الإندونيسي **محمد ناصر** (Mohammad Natsir) في محافظة سومطرا الغربية في 17 يوليو 1908م. كان وزيرًا للإعلام في الفترة (1946-1948م)، ثم رئيس وزراء في نظام أحمد سوكارنو ، وتحديدًا في الفترة (1950-1951م). و في عام 1980م حصل على جائزة الملك فيصل في مجال خدمة الإسلام. توفى عام 1993م عن عمر يناهز 85 سنة. لقد اهتمَّ محمد ناصر - قبل ولوجه المعترك السياسي- بإعادة النّظر في المنظومة التربوية لإصلاح المجتمع على أمل انتشاله من البداوة والتخلف. ومن البديهي ، أنّ مثل هذا الإصلاح التربوي الذي يستهدف إعادة بناء الأمة الإسلامية لا يمكن فصله عن التعاليم الربانية، لا سيما أنّ التحصيل التربوي لمحمد ناصر كان مبكِّرًا على يد أستاذه الهندي الإندونيسي أحمد حسن ،الذي كان يلقبه المتنوّرون بابن القيم بالنسبة لجزائر الهند الشرقية **(أبو شوك، 2000، ص:49)**.

علاوة على أنّ محمد ناصر ،كان مولعًا بمطالعة الكتب والدوريات؛ حيث استطاع بعصاميته - وفي ظلّ واقع الاستعمار المزري - من أن يكوّن لنفسه خلفية علمية ودينية ساعدته في مشواره العملي ونشاطه السياسي على كشف نوايا الاستعمار الهولندي التدميرية للمنظومة التربوية التقليدية، ومن ثمّ ،العمل على توعية الناس بالكلمة الطيّبة من أجل تربية أفضل لهم ولأولادهم.

سبق وأن شغل محمد ناصر منصب مدير الشؤون التربوية لخدمة الأمة الإسلامية في مدينة جاوا الغربية ، تحت إدارة الياباني أنيها **(Gunseibuco Aneha)**، وقد شغل محمد ناصر أيضًا منصب وزير محلي؛ أي محافظ لتلك المنطقة. وعلى الرغم من أنّ هذا الحاكم الياباني كان توجُّهه الفكري توجُّهًا ليبراليًا؛ إلاّ أن روح التفاهم والتواصل كان يجمعهما بخلاف باقي المسؤولين الاستعماريين الهولنديين. وهو الذي قام بتعيين محمد ناصر مديرًا لشؤون التربية الإسلامية، ومنحه بعض التسهيلات تدعيمًا لسياسته التربوية تحت رقابة أو إدارة محمد ناصر حتى يكون متماشيًا مع أهداف الأمة.

لم يواجه محمد ناصر صعوبات في إدارة التربية الإسلامية نظرًا إلى ما كان يتمتَّع به من خبرات كافية ساعدته على تطوير مناهج التربية في المعاهد التي قام بتأسيسها في مدينة باندونج. وكان من بعض سياساته التربوية أنه اتَّخذ اللغة الإندونيسية لغة رسمية في هذه المعاهد ، بالإضافة إلى اللغة المحلية المعروفة باللغة السوندواوية. وفي الوقت نفسه ، قام برسم سياسة تربوية أدَّت إلى تقوية المواد الدينية، علمًا أن إدارة الاحتلال الياباني لم تكن تتدخَّل في الشؤون الدينية ،بل منحت للأهالي الإندونيسيين كامل الحرية. ونظرًا إلى الليونة التي أبدتها إدارة الاحتلال الياباني تجاه الشؤون الدينية، فقد اهتبل محمد ناصر هذه الفرصة الثمينة لتطوير مناهج التربية الإسلامية، بل اقترح تشكيل لجنة دينية باسم المجلس الإسلامي الذي تمت الموافقة عليه من قبل إدارة الاحتلال الياباني؛ لقد ترأَّس محمد ناصر المجلس الإسلامي، وكان من مهامه الكبرى هو تقوية العلاقات بين المدرِّسين وعلماء المسلمين في مدينة باندونج.

وفي ظلّ ما اكتسبه من خبرة علمية وعملية نتيجة ملازمة أستاذه الكبير الشيخ أحمد حسن، قرَّر محمد ناصر تأسيس مدرسة إسلامية أهلية بوصفها وسيلة لغرس الأخلاق وتربية شباب المسلمين. ولأجل تحقيق آماله استشار زميله فخر الدين الخيري، وكذلك أستاذه الشيخ أحمد حسن. وقبل أن يستهل مشروعه التربوي عكف على قراءة الكتب

التربوية المتعلقة بمنهجية التدريس، وذلك من واقع إيمانه بأنّ التربية لا يمكن تدريسها بطريقة عشوائية ، بل هي بحاجة إلى برامج تدريسية مفصَّلة وواضحة، لا سيما ، أنه كان من ضمن أهدافه تخريج جيل كفء في العلمين الشرعي والدنيوي.

ولأجل تحقيق طموحه، التحق **محمد ناصر** عام 1931م بمعهد تدريب المدرسين؛ حيث درس العلوم التربوية ومناهجها. وبعد تخرجه بدأ في تطبيق تلك المناهج التي درسها؛ أحيث ألقى دروسًا في المواد الإسلامية؛ ما شجَّعه ذلك على تأسيس معهد تعليم جامع للحضانة والابتدائي والثانوي. وفي **عام 1932م** أسَّس معهد تدريب المدرسين شمل أيضًا الدراسات المتخصصة في العلوم الشرعية لإعداد الدعاة في المجتمع **(Noer, 1973,p 85)**. وعلى الرغم من أن هذا المعهد كان يتبع نظام مدارس الإدارة الاستعمارية؛ إلاّ أنه كانت تُدرَّس فيه المواد الدينية، وكان يدمج بين الإلقاء والمنهج التحليلي للابتعاد عن التقليد والفهم الخاطئ للدين.

أولاً- إشكال التربية الإسلامية في إندونيسيا:

كان التبشير على أشُدِّه في زمن الاستعمار الهولندي الأكثر عنصرية، لا سيما أنّ الإندونيسيين المسلمين ذوي الأغلبية ، كانوا أكثر تخلفًا في الجوانب التربوية والاجتماعية مقارنةً بغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، نظرًا إلى التسهيلات التي كانوا يتلقّونها من إدارة الاستعمار الهولندي. وعليه ، رأى محمد ناصر أن نهضة الأمة الإسلامية لا يمكن تحقيقها بطريقة عشوائية؛ وإنما هي بحاجة إلى التخطيط الواعي لغرس القيم الدينية الصحيحة في نفوس الشباب وعقولهم؛ حيث كان على وعيٍ بأنّ التربية هي حجر الزاوية في البناء الحضاري للأمة. وقد أشار محمد ناصر إلى أن التقدّم العلمي والتكنولوجي الذّي حققته اليابان، يرجع بشكل كبير إلى تلك البعثة الطلابية التاريخية التي أفادت من علوم الغرب ثم عادت.

يعد **محمد ناصر** مدينًا لأستاذه **أحمد حسن** بما حققه من وعي تربوي ورؤية حضارية لواقع كان بحاجة إلى الإصلاح التربوي والحضاري. وإنّ حواراته اليومية المثمرة مع أستاذه حسن قد رسمت مستقبله ووجَّهت حاضره الوجهة الحسنة؛ حيث باتت كيفية خدمة المجتمع هي كل ما يشغله ، فعدَّها رسالة حضارية لابد أن يؤدِّيها طوعًا أو كرهًا؛ إذ كان محمد ناصر يجزم بأن التربية الإسلامية ليست نظرية فلسفية يراد منها إشباع العقل وحسب، بل هي ممارسة اجتماعية تلامس عامة الناس وتداوي أمراضها،

نظرًا إلى أن التعاليم الربانية التي جاء بها الرسول محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، وبوصفها مصدر هداية، قد شخَّصت كل القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وعالجتها.

قرَّر **محمد ناصر** إنشاء مدرسة لتفعيل مشروعه التربوي الذي يمزج بين العلوم الدينية والدنيوية من منطلق إيمانه بأن الإسلام لا يفصل بينهما. وكانت رغبته هي تغيير الانطباع السلبي لدى الناس عن المعاهد الدينية السائدة في ذلك الوقت. وكان الهدف من إنشاء هذه المدرسة هو تخريج جيل متعلِّم وواعٍ يجمع بين الفكر العقلي والنظر النقلي، وقد اشتملت المناهج الدراسية على مواد علم النفس وعلم الاجتماع ومقتطفات من الفكر الأوروبي، وكل ذلك كان يتم وفقًا لطريقة التدريس العصري. وقد أقام مؤسسته التربوية في مدينة باندونج، وبتمويل من التاجر الحاج محمد يونس الذي أتاح له مبنىً ضخمًا به جميع التسهيلات والأماكن الترفيهية كالنادي الرياضي وما إلى ذلك.

لقد قام **محمد ناصر** بتصميم مناهج دراسية لا تركِّز على الحفظ والترديد من غير وعي ، بل تشجِّع أيضًا على التفكير الإبداعي. إلى جانب ذلك أوقفت المدرسةُ طلابَها على دراسة أساسيات الزراعة للعناية بالأرض، علاوة على الموسيقى وتلحين الأغاني للترفيه عن الطلبة والترويح عن النفس التي تصاب من حين لآخر بالملل تجاه المواد الدراسية الإجبارية. وكان في اعتقاد محمد ناصر أنّ المعاهد الدينية ليست مقتصرة على المواد الدينية، بل يفترَض تطعيمها بثقافات عصرية لزيادة كفاية الخريجين من الطلبة.

وفيما يتعلق بتربية بناته لم يوافق **محمد ناصر** على عملهنَّ في القطاع العام أو الخاص، بل أرشدهنَّ للعمل الذّي يتناسب مع طبيعة المرأة خاصة في مجال التربية والتعليم. فلم يكن يرضى لبناته الانغماس في الأمور الدنيوية، وكان يعتقد أن المرأة ينبغي أن تكون حاضرة مع أسرتها حتى في أوقات تناول الطعام. ومع ذلك فقد وجَّه أبناءه إلى ترشيد نشاطاتهم الدنيوية بالمبادئ الدينية، والحرص على تواضعهم في معاملتهم مع الآخرين.

وإلى جانب اهتمام **محمد ناصر** بالتربية الإسلامية وعدِّها الوسيلة الوحيدة لدفع عجلة التقدم في المجتمع، فقد رأى أن من واجب المسؤولين الكبار في الدولة العمل على تصميم أجندة تربوية أصيلة بحكم مكانتهم في المجتمع واقتداء الناس بهم؛ هذا إذا كانوا يتحلون بروح المنافسة العالية مع الأمم المتقدمة تربويًا وتعليميًا. ومن خلال مناقشته لقضايا تربوية يشير محمد ناصر إلى بعض الآيات القرآنية كقوله عز وجل: ﴿*قَدْ خَلَتْ*

مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ **(آل عمران: 137-138).**

لأجل مزيد من التوضيح فيما يتعلَّق بتصوُّره للتربية الإسلامية ،ننقل قوله كاملاً: "إنّ التخلف أو التقدم ليس مقصورًا على الغرب أو الشرق أو العرق ، وإنّما له علاقة بمبادرة أفراد الأمة من عدمه. وتلك المبادرة هي ما ننشدها لتحقيق التفوق التربوي والتعليمي.**(Natsir, 1954, p78)** . وفي نظر **محمد ناصر**، واستحقاقًا للأهداف التربوية في العالم الإسلامي بصفة عامة والأمة الإندونيسية بشكل خاص، لا يمكن تحقيق مثل تلك الطموحات إلاّ بالإقدام والالتزام ،وتفعيل المبادرات الذاتية والجماعية؛ إذ يرى أنّ هناك عبرة ودروسا من ماضي الأمة الإسلامية المجيد ومدى إثرائه الحضاري، علاوة على قيادته للإنسانية في مجالات علمية عديدة ولفترة طويلة؛ حيث أغنى المسيرة الإنسانية بإنجازاته الدينية والعلمية. ولا شكَّ فهم مأجورون عند الله سبحانه وتعالى عن أعمالهم الإنسانية بسبب خلوص النية والكسب الحسن، لقوله تعالى: *﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾* **(البقرة: 134).**

لقد رأى **محمد ناصر** أن التقدم العلمي والحضاري الذي حقَّقه القدامى من علماء المسلمين، هو بحاجة إلى الحفر في الأسباب التي كانت وراء تحصيله؛ حيث إن جهودهم في خدمة هذا الدين الحنيف والارتقاء به حضاريًا وإنسانيًا، يستحق الأجر والثواب من عند الله سبحانه وتعالى، كما يستحقّ منا استعادته في مبادراته ومواصفاته؛ حتى نستفيد من هذه الجهود التي كانت في خدمة هذا الدين بشكل حضاري وإنساني قلَّ نظيره في العصور اللاحقة على الرغم من التقدم التكنولوجي واختصار الوقت. ولأجل تقدّم الأمة المسلمة اليوم ، نثير تساؤلات يفترَض أن نجيب عنها لنكون خير أمة اقتداءً بمن سبقونا في إنجازاتهم الدينية والعلمية من سلفنا الصالح. ولمزيد من التفصيل ننقل قوله: "لابد أن نسأل أنفسنا ما هي الجهود التي بذلناها وما هي الإنجازات التي حقَّقناها ؟ لابد من مراجعة أنفسنا والتعرُّف إلى المشاكل التي تعاني منها الأمة؟ وهل نمتلك مبادرات إيجابية وتحفيزات عالية تساعدنا على بلوغ ما بلغه أسلافنا من رقي حضاري؟ لا شكَّ في أن الخصائص العامة التي امتلكها سلفنا الصالح هي الالتزام والعمل الجاد والصبر والتوكُّل على المولى سبحانه وتعالى طمعًا في سعادة الدنيا والآخرة. وكذلك فيما يتعلق بالبحث العلمي وأداء العبادات، فلا يمكن فصلهما عن التقوى وابتغاء رضا الله تعالى. و السؤال :

هل لدينا غيرة على التحصيل العلمي كغيرة السلف الصالح في جدِّيتهم وتفانيهم؟ **(Natsir, 1954, p79)**.

ونظرًا إلى تلك التساؤلات المهمة التي أثارها **محمد ناصر**، فإن الأمة الإسلامية إذا كانت لديها رغبة في تحقيق التقدم الحضاري، فهي مطالبة بإيفاء الشروط التي تحقّقت لدى السلف الصالح، وأن يكون لديها توازن حضاري بين النشاط الروحي والدنيوي. كما يؤكِّد **محمد ناصر** بأن الالتزام الديني يكاد يكون السبيل الوحيد لاستعادة العصر الذهبي للعلماء المسلمين القدامى. وإن من ضمن الخصائص الأساسية لهذه الاستعادة التاريخية والحضارية هو الإيمان بالله والتوكُّل عليه، والحرية الفكرية المسؤولة، والشجاعة في الدفاع عن الحق، والالتزام بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية **(Natsir, 1954, p:79)**. ووفقًا لرأيه ، فإن الإيفاء بتلك المواصفات يكون بمواجهة التحديات التي لا يمكن استثمارها إيجابيًا؛ إلا بعد استعداد تربوي وتعليمي عالي المستوى.

يقول **محمد ناصر** : " إن الوعي التربوي هو من يقرِّر مستقبل الجيل القادم الذي يكون قادرًا على التغلب على الأباطيل وتجاوز الانحرافات والدفاع عن تعاليم الرسالة الربانية التي جاء بها النبي محمد صلَّى الله عليه وسلَّم". ولأجل التوصل إلى الهدف التربوي الحقيقي من إعداد جيل متميز ذي كفاية علمية وعملية، فقد حذَّر **محمد ناصر** جميع الآباء والأمهات ، وطالبهم بتحمّل مسؤوليتهم أمام الله و المجتمع ، إذا هم أرسلوا أولادهم إلى مدارس النصارى؛ لأنّ النشاطات التربوية والتعليمية التي تروِّج لها هيئات التنصير العالمي في أرض إندونيسيا هدفها تشكيل العقل الإندونيسي المسلم تشكيلاً علمانيًا، ومن ثمّ ، إفساد الشباب وغرس المفاهيم الضالة التي تدعو إلى تساوي جميع الأديان في الإيمان والعقيدة، ونشر فكرة الحرية في تبديل الدين والخروج منه إلى دين آخر. وحول خطورة التبشير استدلَّ محمد ناصر بهذه الآية الكريمة : ﴿*وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ*﴾ **(البقرة: 109)**.

عدَّ **محمد ناصر** التربية الإسلامية من أهمّ وصايا الدين الإسلامي للآباء، ودعوة صريحة لهم لغرس الأفعال والأعمال الصالحة في نفوس أبنائهم ؛ حيث إن الهدف من ذلك ليس لاكتساب المهارات وتعزيز الكفايات وحسب، وإنما لإعداد شباب ملتزم بإحقاق

الحق وتحقيق العدل ،وتفعيل الأحكام الإسلامية. وللاطمئنان على مستقبل هذا الجيل، يقول محمد ناصر: علينا أن نتأكَّد بأنّ نفوس الشباب خالية من الشكِّ في صحَّة عقيدتها، وأنها في منأى عن التأثير الفكري من ديانات أخرى. ونظرًا إلى أنّ هيئة الكنائس هي من تدير المدارس الأهلية في أنحاء الدولة بدعم من إدارة الاستعمار الهولندي، فقد حذَّر محمد ناصر منذ البداية من عدم إرسال أبناء المسلمين إلى هذه المدارس المشبوهة. وتأكيدًا على كلامه ، فقد أشار إلى ما قاله رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم:*"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"* **(البخاري، رقم: 1292)** . ومن ثمّ، صار لزامًا الاقتداء بالرسول صلَّى الله عليه وسلَّم الذي جاء ليهدي الناس إلى الإسلام وحده، وفي هذه الهداية الربانية توجيهات تربوية تكون مسؤوليتها الكبرى ملقاة على عاتق الآباء والأمهات؛ إذ إنه على المدى البعيد يكون الهدف من التربية هو نجاة العباد من عذاب الله سبحانه وتعالى في الآخرة. وقد يكون هذا من ضمن المميزات المنهجية لدى محمد ناصر ، بخلاف معظم علماء التربية الذين اقتصرت طموحاتهم على تطوير مناهج التعليم لأجل سعادة البشرية في الحياة الدنيا فقط؛ بينما يعتقد محمد ناصر أن الهدف الأول من التربية هو الفوز بمرضاة الله سبحانه وتعالى. هذه بعض آرائه في الأهداف التربوية من خلال تفسيره للآية الكريمة: ﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُم وَأَهْلِيكُم نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ*﴾ **(التحريم: 6)**. وعلى حدّ تأويله، فإنّ هذه الآية تناشد الآباء على غرس الفهم الصحيح للإسلام في عقول أبنائهم؛ فالأسرة هي من تنجيهم من عذاب الله في الآخرة.

لقد رأى **محمد ناصر** أنّ هذه الآية الكريمة تنبّه الآباء والأمهات لتوقي الحذر وأخذ الحيطة، ويعتبرها فرض عين وكفاية في آن واحد. وإضافة إلى ذلك، يرى أن على كل فرد في المجتمع أن يتعاون في تفعيل هذه الفريضة التربوية؛ إذ عدَّ التربية الإسلامية تندرج ضمن مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جاء في الآية الكريمة: ﴿*وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*﴾.

(آل عمران: 104)

إن مثل هذا الفهم الواعي بأهمية التربية الإسلامية لدى **محمد ناصر**، يمكن القول بإنه جديد وجريء مقارنةً بذلك العصر المتخلّف الذي عاينه وعانى منه؛ إذ إن غالبية

العلماء كانوا لا يعتبرون التربية الإسلامية فريضة دينية، بل يرون أن "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" مرتبط بالدعوة التقليدية على أدراج المنابر. وقد زاد الطين بلَّة -لدى **ثانيًا** معارضيه- قوله إنّ النشاط التربوي والدعوي لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، بل هناك تكامل حضاري بينهما.

- التربية الشمولية :

يرى **محمد ناصر** أن التربية الإسلامية تستمد أهدافها السامية من العقيدة التي تمثل حجر الزاوية في الرسالة التي جاء بها المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم؛ إذ إنها تشكِّل مصدر القوة الروحية، وتفضي إلى الحرية والعدل، وتُحصِّل لأصحابها الفلاح في الدنيا والآخرة **(Naim and al, 1995, pp78-79)** ، كما يرى أن الهدف من التربية هو إعداد جيل مسلم يدافع عن الحكم الشرعي ، ويعزِّزه بشكل عقلاني مقنع في المجتمع بهدف إزالة المنكر الدنيوي. وإنّ الهدف الآخر من التربية هو تشكيل شخصية متَّزنة وعالمة وعاقلة، توزان بين المصالح الدنيوية والأخروية لأجل الصالح العام، وتحارب الفساد في الأرض كما جاء في هذه الآية الكريمة: ﴿*وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ*﴾ **(القصص: 77).**

لقد أكَّد **محمد ناصر** على أنّ فلسفة التربية ليست مقصورة على تحصيل المهارات للأفراد في كثير من المجالات وحسب، وإنما هي، أيضًا، مرتبطة بتطبيقاتها التي تعود على المجتمع بالخير الكثير. وكذلك فإنّ التربية لا يمكن فصلها عن قيم المجتمع ، بل هي ملزمة بتفعيل قيمة التعاون بين الناس **" لقد اقترح محمد ناصر توحيد مناهج التعليم في المعاهد المتوسطة والثانوية، بعدما تبيَّن له أن الكفاية التعليمية للطلبة الذي تخرجوا في المؤسسات التعليمية لم تكن في المستوى المطلوب، لاسيما بعدما باشروا الدراسة سنة أولى جامعي".** كما أكد **محمد ناصر** على وجود تنوُّع في مواد التربية الإسلامية بسبب الاختلاف المذهبي؛ على الرغم من أنّ ذلك لا يمس الجوانب الأساسية من الرسالة الإسلامية، ومن ثم علينا بتوسيع أفقنا الفكري والتربوي ،خاصة فيما يتعلَّق بتوحيد المناهج الدراسية **"من المعلوم أن معظم المعاهد الدينية في إندونيسيا أنشئت وفقًا لتصوُّرات المذاهب الفقهية. وإن الجامعات الأهلية قد هدفت من ذلك غرس القواعد الفقهية المذهبية لدى الطلاب، بحيث بات من الصعوبة بمكان توحيد مناهجها".**

يرى **محمد ناصر** أنه لا بد من تجاوز الاختلافات الهامشية ،مثل كيفية أداء الصلاة وما إلى ذلك من الأمور البديهية؛ إذ ما برحت الأمة الإندونيسية تعاني من اختلافات

جانبية تستنزف طاقتها وتشغل وقتها؛ بينما مشكلة وحدة المناهج الدراسية وأهداف التربية لم تعد من الاهتمامات الكبرى التي تؤرِّق علماء المسلمين في إندونيسيا، ولهذا طالب بالوعي الفكري في التعاطي مع الحاجات الأساسية للأمة الإندونيسية. ولأجل التوصل إلى نتائج حاسمة ومهمة قدَّم مقترحًا بتشكيل لجنة استشارية مختصة لمناقشة المسألة التربوية وتبادل الأفكار الناضجة حول برامج التربية ومناهجها.

خلص **محمد ناصر** إلى أن مناهج التربية الإسلامية في المرحلة الابتدائية والثانوية بحاجة إلى تعديلات تجعلها تتلاءم مع النظام التربوي في المرحلة الجامعية. ولأجل معالجة مشاكل مرحلة المتوسطة التي ظهرت بسبب وجود تنوُّع في الاتجاهات الفكرية، رأى ضرورة تمديد الدراسة لمدة سنة إضافية بحيث تتكيَّف مع المواد المتخصصة في المرحلة الجامعية. لقد اقتضت طبيعة هذا النظام التربوي الجديد، أن جميع المواد التي تدرَّس في المعاهد الدينية يمكن الإحاطة بها بحيث تكسب الطلبة كفاية علمية في دراستهم الجامعية. وقد أشار محمد ناصر إلى بعض الأمثلة الواقعية عن نظام الامتحان في جامعة كمبريدج البريطانية؛ حيث يُشترَط على كل من يرغب في الالتحاق بمقاعدها إجراء امتحان في المواد الإجبارية كشرط من شروط القبول. جاء التصور الفكري للتربية الإسلامية الشاملة لدى **محمد ناصر** استجابةً لمتطلبات مرحلة الثلاثينيات من القرن الماضي، في وقت كان معظم علماء المسلمين يركِّزون جهودهم على تصميم مناهج للتعليم الجامعي وتخريج متعلِّمين قادرين على مواجهة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ،والتعاطي معها بهدف تحقيق تقدّم علمي وصناعي من منظور إسلامي؛ حيث اقترح هؤلاء العلماء إنشاء جامعات بمواصفات خاصة في مدينة جاكرتا بحيث تتبع النهج الغربي مع إلزام تدريس العلوم الشرعية؛ أما في مدينة سولو (جاوا الوسطى) فاقترحوا أن تقام فيها المدرسة العالية الإسلامية لتدريب طلبة المرحلة الثانوية المتخصصين في المواد الإسلامية بهدف إعداد دعاة مسلمين لتبليغ رسالة الإسلام في المجتمع .(**Panji Islam Magazine**). ويظهر أن الفصل بين المواد الدينية والأكاديمية فرضته الحاجات الاقتصادية والتجارية والإدارية للبلاد، وبما يتناسب مع طموحات الذي تخرَّجوا في الجامعات الغربية الهولندية والإنجليزية والفرنسية، بخلاف الذين تخرَّجوا في المعاهد الدينية ،حيث انصرفوا إلى المجتمع بوصفهم دعاةً عاملين.

في البدء ، وافق **محمد ناصر** على تلك الآراء علمًا أن الطلبة الذين تخرَّجوا في العلوم الإنسانية وعلوم الوحي لا يمكن التساوي بينهما؛ فهناك فجوة لديهما من ناحية الفهم والإدراك. بالنسبة إلى إنشاء جامعات لتدريس العلوم الغربية إلى جانب مواد في العلوم الشرعية، فقد رأى محمد ناصر أنّ ذلك يستحق التقدير و التشجيع، مع أن الغلبة التربوية ستكون للذين اختاروا النهج الغربي في دراستهم بحكم الدعم المادي؛ أما عن نوايا إنشاء المعهد العالي للدراسات الإسلامية لإعداد علماء معاصرين ، فهو أمر في نظره يستحق الاحترام؛ حيث يقول إننا في أمس الحاجة إلى الدعاة الذين لديهم القدرة على معالجة القضايا الاجتماعية في ضوء مستلزمات التقدم الحضاري والتكنولوجي؛ حيث إن هؤلاء الدعاة والعلماء لا يقتصر تحصيلهم العلمي على الثقافة الإسلامية و حسب، وإنما سيكونون ملمّين بالعلوم الاجتماعية والاقتصادية والإدارية.

على الرغم من كل هذا الاستحسان من قِبل **محمد ناصر**؛ إلا أنه لم يوافق على بعض الاقتراحات الجذرية، نظرًا إلى أن معظم الخرّيجين في المعاهد الدينية سوف لن يكونوا على مستوى عالٍ في مجال العلوم الدنيوية مقارنةً بالذين تخرَّجوا في المؤسسات التعليمية ذات النهج التربوي الغربي؛ حيث توافق رأي **محمد ناصر** مع الرأي العام في المجتمع الإندونيسي. لقد قدَّم فكرته المنادية بإعادة النظر في المسألة التربوية المثارة وذلك بإزالة التصور الخاطئ بأن معظم خرّيجي المعاهد الدينية لا يحوزون على كفاية علمية مقارنةً بخرّيجي المدارس التابعة لإدارة الاستعمار الهولندي. ورأى أن من ضمن المتطلبات الأساسية للالتحاق بالجامعة الإسلامية المنشودة هو أن يكون الطلبة المتقدمين على قدر كبير من النضوج الفكري ،علاوة على الالتزام الديني. كما قام **محمد ناصر** بالدفاع عن حقوق الخرّيجين في المعاهد الدينية التقليدية في إندونيسيا، ورأى بأنهم يستحقون الالتحاق بالجامعة الإسلامية التي هي على وشك الافتتاح، في الوقت الذي نلفي فيه أن المبتعثين للدراسة في الغرب -من قبل إدارة الاستعمار الهولندي- معظمهم من خرّيجي المعاهد الدينية " **في أثناء الاجتماع الذي ناقش المنهج التربوي قال الخبير فان دور لوف (Prof. Van Der Lev) : إن الخريجين الذين تحصَّلوا على شهادة عليا في التربية من المعاهد الحكومية يفتقرون إلى المهارات الأكاديمية، ولا شكَّ في أنهم سيجدون صعوبة في التأقلم مع الحياة الجامعية الجديدة " (Natsir, 1954, p78) .**

لقد طالب **محمد ناصر** بعدم اتخاذ العلوم الحديثة من ضمن المواد الأساسية في الجامعة الإسلامية، وأن تكون الأولوية للعلوم الشرعية واللغة العربية التي تمثِّل النبع

الحضاري في أرض إندونيسيا منذ قرون؛ فلا يمكن أن نعمِّم الحكم بأن جميع الخرّجين في المعاهد الدينية لا يحسنون شيئًا من أمور الثقافة والعلوم، وأنهم لا يحسنون مطالعة الكتب الغربية باللغة الإنجليزية. وقد تصدى محمد ناصر للمقارنة بين الخرّيجين في المؤسسات التعلمية الغربية مع هؤلاء الذين تخرَّجوا في المعاهد الدينية على مستوى الكفاية والتحصيل العلمي والنضج الفكري والمستوى الثقافي. ويرى أن هؤلاء لديهم معرفة كافية بإسهامات علماء المسلمين أمثال: ابن رشد وابن سينا وابن باجة، وفي الوقت نفسه، يمتلكون فهمًا لا بأس به بالثقافة الغربية والفلسفة اليونانية. ومن ثم علينا ألا ننقص من قدر الخرّيجين في المعاهد الدينية أو نتّهمهم بالجهالة أو العلم الناقص؛ فيكون ذلك حجة لإقصائهم من الانتساب إلى الجامعة الإسلامية. كما يمكن لنا أن نسأل الخرّيجين في المؤسسات التعليمية الغربية إن كانوا على دراية بأفكار عمر الخيام أو إسهامات ابن خلدون العلمية والحضارية.**(Natsir, 1954, p78).**

في ذلك الوقت ،كانت هناك اتجاهات فكرية معادية للثقافة الإسلامية التي رسخت في عقول المسلمين منذ قرون، وقام محمد ناصر بالدفاع عن مكتسباتها الحضارية؛ فكانت فترة عداء تروّج للثقافة الغربية وتسم الذين تخرَّجوا في الجامعات الغربية بأنهم على درجة عالية من التقدُّم والتحضُّر، بخلاف الخرّيجين في المؤسسات التعليمية بالعالم الإسلامي الذين هم، في نظرهم، أكثر رجعية وبدائية؛ إلاّ أن **محمد ناصر** كان يعتقد بأن التسهيلات المادية وتوفير المناصب الإدارية من قبل إدارة الاستعمار الهولندي هي التي صنعت هذا الفارق وغذَّته بمزيد من العداء، ومن ثمّ فإن إدارة الاستعمار ظلت تفضِّل الخرّيجين في الغرب لأنهم يخدمون مصالحها العليا . **(Natsir, 1954, p78).**

في اعتقاد **محمد ناصر** لا يوجد مشكلة لدى الخرّيجين في المعاهد الدينية الإسلامية للتكيُّف مع الذين تخرَّجوا في المؤسسات التعليمية الغربية ما داموا يتحلَّون بالقيم الإسلامية. وفيما يتعلق بمشروع إنشاء الجامعة الإسلامية رأى أن الأولوية تكون لطلبة المعاهد الدينية ليزدادوا تعمُّقًا في ثقافتهم الدينية إلى جانب التمكين في العلوم الحديثة؛ بحيث تكون العلوم الحديثة الغربية وسيلة نبيلة من أجل رفع مستواهم الاجتماعي في المجتمع. ولهذا كان يأمل في أنّ يقوم هؤلاء الخرَّيجين بوظيفتهم الدعوية على أحسن وجه من أجل إصلاح المجتمع وتنميته من منظور إسلامي، وأن يكون لهم استعداد كافٍ لتحمّل المسؤولية وقهر التحديات بالصبر والتوكُّل، لاسيما أنهم مدرَّبين روحيًا.

يرى **محمد ناصر** أن المثقفين الذين يمتلكون خصائص شرقية لديهم طاقة خفية لم تُستخدَم بالكامل، ومن واجب المؤسسات التعليمية العالية كما سبق الإشارة أن تستفيد من تلك الطاقة حتى تكون أكثر فعالية. إن التاريخ سوف يسجِّل من هم المثقفون الأكثر إسهامًا في إصلاح هذه الأمة.

يبدو أن في ذلك الوقت كان معظم علماء المسلمين المهتمين بتأسيس الجامعة الإسلامية يرغبون في الدمج بين الذين تخرَّجوا في المؤسسات التعليمية الغربية وبين الذين درسوا المواد الدينية، مع إهمالهم للذين تخرَّجوا في المعاهد الدينية في إندونيسيا. وقد رأى **محمد ناصر** أن الخرِّجين في المعاهد الدينية أحقّ بالالتحاق بتلك الجامعة، نظرًا إلى أن عددهم كبير في أنحاء البلاد. إضافة إلى ذلك ،فإن الذين يقومون بالدعوة الإسلامية في المجتمع يحوزون معلومات كافية في العلوم الشرعية التي درسوها في معاهدهم الدينية، والأكثر من ذلك ، أنّ لديهم الصبر على تحمّل المسؤولية وتحدياتها مقارنةً مع الذين تخرَّجوا في المؤسسات التعليمية ذات النهج الغربي.

لقد أكَّد **محمد ناصر** أيضًا، على أنّ جميع منافسيه من الذين لديهم غيرة على تأسيس الجامعة الإسلامية والرهان على الخرِّيجين في المؤسسات التعليمية ذات النهج الغربي، سوف يقومون بمهمتهم النبيلة في حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعتري الأمة، على الرغم من أنه أبدى رأيه في معارضته لتلك الأهداف؛ حيث أصرَّ على أن الأولوية تكون للخرِّيجين في المعاهد الدينية الإندونيسية، وقد برَّر **محمد ناصر** موقفه وفقًا للأسباب الآتية :

السبب الأول : أنهم يقومون بفريضة الدعوة لترغيب الناس على عمل الخير لوجه الله سبحانه وتعالى .

السبب الثاني : أنهم غير طامعين في الأجر فما أجرهم إلا على الله سبحانه وتعالى، ومن ثم هم يبلِّغون رسالة الله سبحانه وتعالى ويرشدون الناس للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما أُتوا من الصبر والتوكُّل في التغلب على جميع العقبات والتحديات. علاوة على أن الجامعة الإسلامية تختلف عن غيرها فهي تستهدف إعداد جيل ملتزم بتعاليم الإسلام، ومستعد للقيام بالدعوة لتحقيق العدل ومحاربة الفساد والظلم في المجتمع. بالإضافة إلى ذلك هم على قدر كبير من حسن السيرة والرغبة في تحمُّل الأذى والصبر في سبيل الجهاد لإعلاء شرع الله في الأرض "**جاء في السجلات التاريخية أن الآباء الذي ابتعثوا**

أولادهم للدراسة في المعاهد الدينية كان غالبيتهم من الريف والقرى والمناطق النائية؛ حيث إن كثيرًا منهم تمَّ إعفاؤهم من دفع الرسوم الدراسية" (Natsir, 1954, p78) .

وإذا نظرنا إلى الوضع الاقتصادي لهؤلاء الخرّيجين في المعاهد الدينية، نلفي أن آباءهم كانوا غير قادرين على تمويل دراستهم الجامعية، "**الجدير بالذكر أن المؤسسات التعليمية التي سلكت المناهج التربوية الغربية تحت إدارة الاستعمار الهولندي لم يكن بها مواد دينية مقرَّرة في مناهجها " (Natsir, 1954, p97).** ونظرًا إلى أن **محمد ناصر** كان مهتمًّا منذ البداية بإعانة الفقراء والدفاع عن حقوقهم ومستقبلهم لتحقيق العدالة في المجتمع من منظور إسلامي، فقد أكَّد من جديد على أن المعاهد الدينية المنتشرة في كثير من المناطق الإندونيسية تسهم، برجال أهل الخير، في مساعدة الفقراء وتحثهم على الصبر مع الحرص على الطموح إلى الأفضل كلما واتتهم الفرصة المشروعة عبر تفعيل طاقتهم الكامنة ليكونوا قادرين على إصلاح الأمة من غير الطمع في الدنيا، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿*قلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المسْلِمِينَ*﴾ **(الأنعام: 162-163).**

لقد وقف **محمد ناصر** يدافع عن حقوق الخرّيجين في المعاهد الدينية لمواصلة دراستهم في المرحلة الجامعية، وكله أمل في أن يكونوا دعاةً عاملين يطمحون لإقامة العدل وإزالة الظلم في المجتمع؛ ما جعله يوليهم الاهتمام والرعاية، وينتقد بشدَّة منح الأولوية في الالتحاق بالجامعة الإسلامية لمن تخرَّجوا في مؤسسات تعليمية ذات طابع غربي في مناهجها الدراسية؛ حيث عدَّها فكرة خاطئة ومنحرفة لا بد من مراجعتها وتصحيحها.

ثالثًا : الإسلام والنظام التربوي الغربي :

ظهرت اتجاهات تربوية مختلفة، وانتصرت لمصطلحات مثل "التربية الشرقية" و"التربية الغربية"؛ حيث عُدَّ الإسلام من الديانات الشرقية التي لها نظامها التربوي الخاص الذي يختلف جذريًا عن النظام التربوي الغربي ويتعارض معه؛ فلا أحد ينكر هيمنة الاستعمار وتجذُّره في المجتمع الإندونيسي بحيث أثَّر في السلوكيات والتصرفات والأفكار؛ وحتى في المعتقد أيضًا. ومن ثم كان البحث يجري حثيثًا للوقوف في مواجهة تلك الاتجاهات المتناقضة مع الأهداف التربوية في إندونيسيا ؟ وهل يصحُّ القول إنّ الدين الإسلامي الذي جاء به النبي محمد صلَّى الله عليه وسلَّم يتعارض جملةً وتفصيلاً

مع الفكر التربوي الغربي ؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة المثيرة يكون بعدم فصلها عن الأهداف التربوية المرتبطة بالسنن الكونية.

و الجدير بالذكر ، أن **محمد ناصر** عرَّف التربية بأنها إعداد قيادي للإنسان جسدًا وروحًا ، وهي بذلك مكمِّلة للخصائص البشرية في معناها الحقيقي. واختصارًا فإن أهداف التربية في رأيه تستجيب لما ذكره الله في محكم تنزيله: ﴿*وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ*﴾ **(الذاريات: 56)**. إن ما يميّز تعريف **محمد ناصر** للتربية ، أنه ربطها بالعبادة وبشكل شمولي لتسليم جميع أعمال البشر لله سبحانه وتعالى؛ ما يفضي بهذا الرباط الرباني إلى فلاح المسلم في الدنيا والآخرة؛ لأن في ذلك ابتعادًا عن جميع المحارم وتجنُّب ارتكاب المآثم التي تؤدي بصاحبها إلى المفاسد والخسران، ومن ثم غياب السكينة الفردية والجماعية . **(Natsir, 1954, p82)**.

يرى **محمد ناصر** أنّ كلمة "عباد الله" في واقعها ليست أمرًا هيّنًا وميسَّرًا؛ فلكي يكون الإنسان عبدًا لله يخلص له في جميع أعماله بوعي وتقوى وحسن سلوك؛ فإنه مطالب بنظام تربوي رباني أصيل يعينه على ترجمة هذا الإخلاص إلى فعل؛ حيث بيَّن الله سبحانه وتعالى الوصف الحقيقي لعباده كما كما جاء في قوله جلاَّوعلا: ﴿*إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ*﴾ **(فاطر: 28)**. ويتَّضح من تلك الآية ، أن العلم يعد شرطًا من شروط أن يكون المسلم من عباد الله التقاة؛ هذا العلم الذي لا يمكن تحصيله إلا من طريق التربية والتعليم الأصيلين.

إنّ عباد الله، في نظر **محمد ناصر**، لا يمكن أن يكونوا منعزلين عن المجتمع فيكتفون بأداء الصلاة والصيام وحسب، بل لا بد عليهم من التعامل مع الناس ومخالطتهم تعميمًا لعمل الخير في المجتمع إلى أقصى حد ممكن، لا سيما أن الله سبحانه وتعالى منح لهذا العالم نعمًا كثيرة، ويفترَض من الإنسان العاقل أن يستفيد منها في فعل الخيرات لصالحه ولصالح غيره كما ورد في الآية الكريمة: ﴿*قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ*﴾ **(الأعراف: 32)**.

من وجهة أخرى ،جاء **محمد ناصر** بتعريف آخر عن عباد الله، وهم، في نظره، الأشخاص الذين هيَّأهم الله لقيادة المجتمع بما يتوافق مع شرع الله، ومن ثمّ ،القيام بأعمال الخير وإقامة الصلاة كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿*لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ*

قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ **(البقرة: 177)**. إن الشخص الذي يتَّسم بتلك المواصفات يستحق الفلاح والانتصار في الدنيا والآخرة كما وعد الله بذلك في قوله: *﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾* **(الأنبياء: 105-106)**.

يرى **محمد ناصر** أن العبادة التي تجعلنا عباد الله تكون مقرونة بتسليم جميع الأعمال والأنشطة الجسدية والروحية لله سبحانه وتعالى. وهذا لا يعني أن ذلك يزيد في ملك الله بعبادة الناس له، فهو سبحانه غني عن العالمين؛ وإنما العبد هو الذي بحاجة إلى الله الذي هو مصدر ما ينعم به من قوة، ولهذا نحن نعبده ونشكره طمعًا في رحمته التي بها تحصل لنا السعادة والفلاح في الدارين. إذًا العبادة هي لصالح الخلق وليس لله مصلحة فيها كما جاء في هذه الآية: *﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾* **(الذاريات: 57-58)**.

إن تسليم جميع الأنشطة والأعمال لله سبحانه وتعالى مع مراعاة أحكامه العادلة، هي في مصلحة البشر، لتحصيل المزيد من الجودة في العمل إلى جانب استتباب الأمن والاستقرار في حياتهم. وبالإضافة إلى ذلك ، فإن العبادة الصحيحة هي طاقة للمسلم لمواجهة التحديات والتغلُّب عليها، لاسيما أن الإنسان المسلم بعد أن يتغلَّب على مصائبه ويقهرها، يكون أكثر شكرًا لله تعالى، فتنطبق عليه الآية الكريمة: *﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾* **(إبراهيم: 7)**.

التربية عند **محمد ناصر** هي رسالة أمة؛ إذْ لا بد من الوعي بها لإعداد جيل المستقبل الذي يحسن تحمُّل عبء المسؤولية لتنمية المجتمع وتطويره **(ناصر، 1964)**. إضافة إلى ذلك فقد أوضح أن النظام التربوي الإسلامي يهدف إلى تكوين الشخص الذي يقضي حياته في العمل، ويقيم العدل ويزيل الظلم ويحارب الفساد في المجتمع.

أكَّد **محمد ناصر**، أيضًا، على أهمية العلم؛ حيث طالب بعدم التفريق بين علوم الشرق أو الغرب ما دام ذلك لا يتعارض مع القيم الربانية، لا سيما إذا كانت العلوم والمعارف الغربية ذات فعالية في المجتمع وتتوجه نحو خدمة الصالح العام.

لقد أدلى محمد ناصر بآرائه في مسائل تتعلق بالمنظومة التربوية الشرقية والغربية، بعد أن وقفت اتجاهات فكرية مختلفة تدافع عن رأيها، وكل اتّجاه يسيء إلى الآخر ويسخر من علومه ومعارفه. لقد وقف الخرّيجون في الجامعات الغربية يمدحون المنظومة التربوية الغربية ويزيّنونها للمجتمع، وسخروا من الخرّيجين في الجامعات الإسلامية واعتبروا أن تحصيلهم المعرفي يتوجه نحو تكريس التخلف والرجعية والبداوة. كما قام الخرّيجون في الجامعات الإسلامية بالهجوم على هؤلاء الذين تربوا في الغرب وعيَّروهم بأنهم عملاء العلمانية الملحدة المعادية لتعاليم الإسلام.

في ظل هذا الصراع بين الاتجاهات التربوية، وقف **محمد ناصر** موقفًا محايدًا؛ فاتَّخذ له مكانًا وسطًا؛ إذ عدَّ التقييم التربوي في هذه الحالة، والتمييز بين الخير والشر، يكون وفقًا للتعاليم الربانية. لقد حاجج **محمد ناصر** بأن الشرق والغرب كلاهما لله سبحانه وتعالى كما جاء في الآية الكريمة: ﴿*وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ*﴾ **(البقرة: 115)**، وأن العلم القادم من الجهتين له إيجابياته وسلبياته، ومن ثمّ ،على المسلمين أن يكونوا على وعي بالاختيار المناسب، وعلى دراية بما هو قابل للنقد والردّ، حتى لا يفوّتوا على أنفسهم فرصة التعلُّم من الآخر سواء بالاستفادة منه أم بالتدريب على نقده نقدًا موضوعيًا ومقنعًا بما أُتوا من علوم ومعارف تغنيهم عن السؤال وتعينهم على النقد.

لم يكن **محمد ناصر** من دعاة توسيع الفجوة الحضارية بين الشرق والغرب، بل كان يدعو إلى التخفيف من الجدال العميق في مسائل فكرية قديمة ومتجذِّرة، وتوجيه عقول المسلمين إلى التفكير في إيجاد بدائل تربوية معاصرة عبر بذل الجهد الفكري العميق؛ حتى أنه هو بنفسه قد مارس التفكير النقدي إزاء من يفرّقون بغير حق بين العلم الشرقي والغربي ويصرُّون على تصنيفهما؛ ما قد يدل على ضيق أفقهم الفكري والحضاري. وعليه يرى **محمد ناصر** أن الإسلام لم يأت للتفرقة بين علوم الشرق والغرب، وإنما يهتم بالتفريق بين الحق والباطل، بين الخير والشر؛ حيث أن بين هذه الثنائيات تناقضًا أبديًا لا علاقة للعلم والمعرفة بهما؛ وأي التباس في العلم القادم من الآخر المختلَف معه، فإن النقد يعالجه ويصحِّحه بعيدًا من الخصومة والعدواة؛ إذ أن جاهل الشيء عدوه.

إن مثل هذا الوعي التربوي يكشف عن مدى سعة أفق فكر **محمد ناصر**، وتعاطيه مع الحق والقيم الإنسانية كما هي مبسوطة في تعاليم الإسلام السمحة. فهو يرى أن الحق والعدل لابد من الانحياز إليهما، وأن الشر والظلم ينبغي إزالتهما؛ حيث اعترف

محمد ناصر بفعالية المنظومة التربوية الغربية وجودتها في تخريج كفايات علمية وقدرات عملية خاصة في العلوم التقنية، لا سيما أن العالم الإسلامي بحاجة إليها والاستفادة منها لتجاوزها والإتيان بأفضل منها بما أوتي من قيم حضارية؛ ما يفترَض منه إحياءها وتجديدها وتفعيلها، ولأجل هذا لا يمكن رفض العلوم الغربية أو بخسها حقها لمجرد أنها جاءت من أقوام دينهم ليس كديننا.

والأمر الآخر الذي لابد من الوعي به، في نظر **محمد ناصر**، أن التعاليم الربانية لا تلغي المصالح الدنيوية التي تخدم الصالح العام؛ ما يجعل إهمال متطلبات الحياة الدنيا ليس فعلاً عقلانيًا. وإذ إن الدنيا هي الحقل الكبير والواسع الذي نزرع فيه جميع الأعمال الصالحة؛ فإننا سوف نقتطف ثمرتها في المستقبل، لاسيما في الآخرة. وإذا كانت التربية الإسلامية تهتم فقط بالأنشطة الروحية ، فإنها تتعارض مع رسالة الإسلام التي بلَّغها لنا المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم. يقول محمد ناصر: "لا تعارض بين الحياة الدنيوية و الأخروية، ومن ثمّ ، لا داعي للدعوة للانفصال بينهما، بل هما شيئان متكاملان، ونحن بحاجة إليهما للحفاظ على التوازن في هذه الحياة **(Natsir, 1973, pp84-85)**. وقد استدلَّ بآية من القرآن الكريم تعزّز رأيه حول أهمية التربية الإسلامية الشمولية التي تحافظ على الوحدة الحضارية والإنسانية بين العلوم الدينية والدنيوية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿*وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا*﴾ **(البقرة: 143)**.

رابعًا: علماء الإسلام والحضارة الغربية:

يحرص **محمد ناصر** في كتاباته على القول بأن الإسلام هو مصدر الحضارة؛ حيث يورد تعريف المستشرق الهولندي جيب **(Gibb)** للحضارة قائلاً: "إن الدين الإسلامي يعد أكثر من نظام عقائدي إذ يحتوي الحضارة الشاملة" **(Gibb, 1954)** . بناءً على ذلك التعريف، فإن مفهوم الحضارة الإسلامية الذي جاء به هذا المستشرق جيب حول شمولية التعاليم الإسلامية، يجعل أفق تفكيرنا يتسع باتساع التعاليم الإسلامية التي ليست مقصورة على الجوانب الروحية بل هي مصدر للتقدم الحضاري. وبالنظر إلى تلك الطاقة الكامنة في تعاليم الإسلام التي تشكِّل مصدرًا ثرًّا للإبداعات والابتكارات، يرى **محمد ناصر** أنّ إشعاعات الحضارة في العالم الإسلامي بدأت في البزوغ إثر نزول الوحي على الرسول محمد صلَّى الله عليه وسلَّم؛ فهو يقول: "يحدثنا التاريخ أن الدولة التي تعاني

من المعضلات بينما تواصل الكفاح بلا يأس، هي التي تحقّق في الأخير الحضارة المتميزة والقادرة على التنافس مع دول أخرى ، فتورث الفلاح للاحقين"

(إرشادات المنتدى، 1936).

أورد **محمد ناصر** في كتاباته ، أن الحضارة المتميّزة تنتقل من مكان إلى آخر، ومن جغرافيا إلى أخرى، ومن عرق إلى آخر. وإنّ الفكر المتقدم هو الذي يحدّد مصير الحضارة. إن استمرار الحضارة الإسلامية واستقرارها لفترة طويلة من الزمن يعود إلى العمل الجاد و خلوص النية. وقد عرض **محمد ناصر** رأيه في الأسباب التي أثمرت الحضارة المتميزة قائلاً: " **أولاً** : إن الإسلام يحترم العقل الذي يفترَض تفعيله بالدراسة والتدبُّر في الكون والاستفادة من الثروات الطبيعية للصالح العام. **ثانيًا** : إن الرسالة الربانية تحث على طلب العلم حيث إن الجزء الأكبر من النصوص القرآنية فيها إشارة واضحة لتحصيل العلم وتفعيل العقل للوقوف على أسرار الكون. إضافة إلى ذلك فإن طلب العلم ليس له نهاية، وإنما هو ماضٍ إلى يوم القيامة كما ما جاء في الأثر : **" أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد ".**

لقد أكَّد **محمد ناصر** على أهمية التفكُّر وعدم تقليد الآخرين من غير وعي وتحليل؛ ما قد ينجم عن هذه التابعية من جمود يعدم الابتكارات والإبداعات على قلَّتها. وقد أورد **محمد ناصر** دفاعًا عن فكره قوله تعالى: ﴿*وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا*﴾ **(سورة الإسراء: 17).** كما تأكد لنا من فكره الإصلاحي أنّ الحكم الشرعي يستمدُّ قوته من الفحص والتساؤل عن الحق وطبيعته ،ولو جاء من مصادر أخرى بغض النظر عن الديانة أو عناصر حضارية أخرى. علاوة على أن الإسلام يشجّع أتباعه على السير في مشارق الأرض ومغاربها للوقوف الصحيح والمباشر على تنوع الأجناس والحضارات؛ فرحلة الحج تتيح الفرصة الثمينة للتعارف وتبادل الأفكار حول الثقافات والتقاليد والعادات داخل الحضارة الإسلامية الواحدة؛ ما جعل الحج فريضة لقوله تعالى: ﴿*وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ*﴾ **(سورة آل عمران: 97).**

لقد أشار **محمد ناصر** إلى الحج الذي هو بمثابة سير في الأرض يلتزم فيه المسلم بطاعة أوامر الله وتجنُّب ما نهى عنه، علاوة على تبادل المعلومات والأفكار بين المسلمين حول ما يحدث في البلدان البعيدة والتحديات التي تواجهها، ومن ثمّ، استفادة المسلمين

من بعضهم البعض في حل مشاكلهم وتقوية إيمانهم. ويتَّضح الأمر أن ازدهار الحضارة الإسلامية قام على التفكُّر واستخدام العقل بشكل صحيح للتعرُّف إلى العالم واستكناه الأشياء الكامنة فيه. وقد سجَّل التاريخ أن الخلفاء المسلمين قاموا بتقديم الدعم المالي للبحوث والكتابات والنشاطات التي كان يجريها العلماء والمفكرون والباحثون؛ حتى تحققت الحضارة الإسلامية الباهرة التي أُعجب الناس بها في المشرق والمغرب. الخليفة أبو جعفر المنصور –كما يقول **محمد ناصر**- في العصر العباسي كان على درجة عالية من العلم، وكان يثني على العلماء في مجالات الفقه والطب، وهو الذي قام بتمويل المشاريع العلمية في جميع التخصّصات. قام أيضًا، بتشجيع ترجمة الكتب الإغريقية إلى العربية، وخصَّص موارد مالية لهذه المهمة النبيلة؛ حتى يستفيد أهل العلم من تلك الكتب استفادة مباشرة، أو القيام بنقدها إذا كان فيها ما يتعارض مع القيم الدينية. ولا شكَّ في أن مثل هذه التشجيع من الخليفة المنصور مؤسس بيت الحكمة، كان فيه إضافة حضارية عظمى. وإذا كانت مكة المكرمة معروفة في ذلك الوقت بوصفها مركزًا روحيًا عريقًا ولا تزال؛ فإن بغداد كانت مركزًا مهمًّا للتنوع الحضاري في أشكاله المادية. وعليه يعتقد **محمد ناصر** بأن النشاط الروحي والفكري لا بد أن يسيرا جنبًا لجنب من أجل تحقيق التقدم للأمة الإسلامية. **(إرشادات المنتدى، 1936).**

هذا،وقد أورد **محمد ناصر** قصة خبير فلكي فارسي كان من أتباع الديانة الماجوسية واعتنق الإسلام؛ حيث استضافه الخليفة في قصره وأتاح له فرصة تطوير علمه في مجال تخصصه. ونظرًا إلى اهتمامه البالغ بعلم الفلك ، قام هذا الخليفة بدعوة عدد من الخبراء الفلكيين من دول أخرى كالهند وفارس والروم؛ فأحاطهم برعايته وأغدق عليهم العطاء ومنحهم رواتب عالية. وبالإضافة إلى ذلك طلب منهم دراسة إبداعات علماء الرومان للاستفادة منها في تطوير العلوم في سائر المجالات الأخرى. وإن مثل هذا المشروع الإنساني الضخم أدى بملك الروم في ذلك الوقت إلى إرسال عدد كبير من الكتب لترجمتها إلى العربية. يقول **محمد ناصر** : إن هناك أمرًا مهمًّا قام به الخليفة تمثَّل في دعوة عدد من علماء النصرانية مثل **جورج بختيزجو (George Bachtisju)** من **شندي شابور (Chandichapur)** لتدريس علوم الرياضيات والطب. ومن ضمن الكتب التي تمَّ ترجمتها إلى العربية كتاب جمهورية أفلاطون وكتاب عن علم الفلك ألَّفه **بطليموس (Ptolemy).** وكان ذلك في الوقت الذي قد قام فيه الغرب

بتحريم العلوم وتجريمها ، لا سيما التي تتناقض مع النصوص الدينية النصرانية، مثل حادثة جاليلو المشهورة؛ بينما قام الخليفة بتشجيع العلماء وحثّهم على دراسة العالم واستكشاف أسراره، والوقوف على مدى التوافق بين الإنتاجات العلمية والتعاليم الربانية. وفي الوقت الذي قام فيه معظم القيِّمين على الكنائس بتحريم تداول الكتب التي تمتح من مصادر الديانات الأخرى؛ فإن العلماء المسلمين قاموا بتشجيع ترجمة الكتب من مصادر الديانات الأخرى بهدف معرفة جوانب الاتفاق والاختلاف من منظور إسلامي. **(إرشادات المنتدى، 1936).**

يرى **محمد ناصر** أن الخلفاء المسلمين أمثال هارون الرشيد والمأمون قد سلكوا سياسة حكيمة تشجِّع على الاطلاع على آراء الآخرين حتى لو أتت من مصارد دينية متناقضة. لقد كان همُّهم الوقوف على الأباطيل ثم القيام بنسفها بالتفكير النقدي والدراسة العميقة استنادًا إلى ما جاء في مصادر التشريع الإسلامي **(إرشادات المنتدى، 1936)**؛ إذ سبق للعلماء المسلمين التعاطي باقتدار مع النظريات الفلسفية اليونانية والغربية لدى أفلاطون وأرسطو وبطليموس وغيرهم، كما قدَّموا ملاحظات عميقة وتحليلات دقيقة أغنت الحضارة الإنسانية في كافة المجالات العلمية؛ فظهر إثر ذلك عباقرة مسلمين أمثال يعقوب بن إسحاق بن صبرة الكندي ،وهو خبير في التفكير الفلسفي والفلك والطب، والموسيقى. علاوة على ابن سينا في الطب لا سيما في إنجازه المشهور "القانون في الطب"، وكتاب الحاوي الذي استفاد الغرب من عطائه العلمي والفلسفي.

- خاتمة:

يمكن القول : إنّ **محمد ناصر** قد اهتمَّ منذ وقت مبكِّر من حياته بخطورة الأفكار الضيِّقة التي تختزل التربية والتعليم في العلوم الشرعية دون سواها، وهي في رأيه أفكار أصابت الأمة الإسلامية بالقصور المعرفي والديني، وكأن العلوم الدنيوية لا علاقة لها بالدين. ومن ثمّ، كان **محمد ناصر** يرى أن المشكلة التي تعاني منها الأمة المسلمة لا يمكن حلّها إلاّ من طريق التربية الشاملة؛ حيث لا يوجد تمايز تعليمي بين العلوم الدنيوية والعلوم الشرعية.

لقد انتقد **محمد ناصر** بعض القصور الحاصل في المعاهد الدينية المنتشرة في معظم أنحاء بلاده إندونيسيا، نظرًا إلى أنها اشتهرت بالتركيز على تدريس العلوم الشرعية

مهملة غيرها بإيعاز من مؤسّسي هذه المعاهد؛ ما جعل معظم الخريجين في هذه المعاهد الدينية يفتقرون إلى المهارات الضرورية لمواجهة التحديات اليومية.

ومن ثمّ ،كانت النزعة الفكرية لدى **محمد ناصر** تميل إلى الدمج بين العقل والنقل، والاحتفاظ بمكانة كلّ منهما بعيدًا من النزاعات التي تغذيها الأفكار العلمانية المتطرّفة. لقد تفطَّن إلى هذا الصراع الفكري مبكّرًا، وحاول معالجته بالنقاش الحضاري للإشكال التربوي، وبإنشاء مدارس ومعاهد تولي الاهتمام لما بات يطلق عليه اليوم بأسلمة المعرفة. وقد أتت هذه الخاتمة مشفوعة بنتائج ومصحوبة بتوصيات، هي : الآتي :

النتائج :

1. امتلاك محمد ناصر رؤية حضارية كاملة فيما يتعلق بالتربية الإسلامية في مجتمع متعدّد الثقافات والأفكار بحكم فترة الاستعمار الطويلة والمؤلمة.
2. وقوف محمد ناصر على المناهج التربوية بالتحصيل العلمي والممارسة العملية قبل إبداء آرائه في المسألة التربوية الإسلامية.
3. موقف محمد ناصر من العلوم الدنيوية الغربية هو موقف المستفيد المصلح؛ إذ لم يكن من دعاة توسيع الفجوة الحضارية بين الشرق والغرب.
4. ينطلق محمد ناصر من أنّ أسلمة المعارف والعلوم تعد حلاً وسطًا للاستفادة من إنجازات الحضارة الغربية الغالبة، مع بذل الجهد العقلي لتحصيل التميز المعرفي والعلمي عن الآخر المختلَف.

- التوصيات:

-إعادة قراءة مشروع محمد ناصر التربوي وترجمته إلى العربية للاستفادة من مساحته المضيئة، لا سيما أنّ محمد ناصر يعد مصلحًا دينيًا وتربويًا، وحداثيًا واثقًا من التراث، ومفكّرًا منفتحًا على ثقافة الآخرين.

-الاهتمام بالمصلحين المسلمين الذين تعاطوا مع أفكار الغرب من غير عقدة نقص، من أمثال محمد ناصر الذي وقف لهذه الأفكار ناقدًا كلما استدعت الضرورة، ومفيدًا كلما عمَّت الفائدة.

-عدم الاندفاع في صراعات عقيمة بين التراث والحداثة لتحصيل النفع العام كما حصل لمنظومات تربوية عالمية على شكيلة اليابان وماليزيا.

-الاتزام الأجيال المتعلِّمة بالتعاليم الربانية التي هي مهمة المدرسة والبيت والمجتمع والإعلام.

- قائمة المصادر:

- القرآن الكريم

- قائمة المراجع:

- أولا/ مراجع باللغة العربية:

01- أبو شوك، أحمد إبراهيم (2000). **تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد وشيخ الإرشاديين أحمد محمد السوركتي في إندونيسيا**، ط1، كوالالمبور: مركز البحوث-الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

02- **إرشادات المنتدى**، حزيران (يونيو) (1936).

03- البخاري في صحيحه، **كتاب الجنائز**، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم 1292.

04 - ناصر، محمد . (1964م). **محاضرة غير منشورة** ، مدينة بوقور يونيو، يوم 17.

- ثانيا/ مراجع باللغة الأجنبية:

*05- **Noer, Deliar. The Modernist Muslim Movement in Indonesia** 1900-1942, Singapore: Oxford University Press, 1973, p.85.*

*06- **Natsir, Mohammad. Capita Selecta, Jakarta:** Penerbit Bulan Bintang, 1954, p.78.*

*07- **Natsir, Mohammad. Capita Selecta, Jakarta:** Penerbit Bulan Bintang, 3rd Edition, 1973, 84-85.*

*08- **Naim, Mochtar. Mohammad Natsir dan Konsep Pendidikan Integral. In: Anwar Harjono (ann.), M. Natsir: Sumbangan dan Pemikirannya** untuk Indonesia, Jakarta: Penerbit Media Da'wah, 1416H/1995M, p.78.*

*09- **Panji Islam Magazine,** June 1938.*

*10- **H.A.R Gibb. Wither Islam,** Den Hag: Leiden University Press, 1954.**10***